

مقاومة في رجل

سليم الحص

السفير - ٢٠٠١/٧/٣

في ٢٠٠١/٦/١٧ أذاعت محطة البي بي سي (هيئة الإذاعة البريطانية) برنامجا عن مجزرة صبرا وشاتيلا في عام ١٩٨٢، وذلك تحت عنوان <<هل ينبغي مقاضاة أرييل شارون، (رئيس وزراء إسرائيل حاليا) في شأن المجزرة>>؟ وقد تميز البرنامج بجرأة غير مألوفة من وسيلة رئيسة من وسائل الإعلام الغربية. وقد جاء في البرنامج رأي لأحد الخبراء القانونيين قال فيه إن شارون يمكن بلا شك إدانته كمجرم حرب. وكان تعليق المسؤولين الإسرائيليين على الحدث، كما كان منتظرا، أن البرنامج كان فضيحة وعملا مناهضا للسامية. لقد كانت تلك المبادرة من الإذاعة البريطانية جديرة بالتقدير والإعجاب.

في اليوم التالي أقدم المحامي اللبناني الدكتور شبلي الملاط بخطوة جريئة، أقل ما يقال فيها إنها آية من آيات المقاومة للعدوان الإسرائيلي المستمر على الأمة العربية، ولا سيما في لبنان وفلسطين، وذلك إذ تقدم ذلك المحامي اللبناني المقدم، بوكالته عن ٢٣ عائلة لبنانية وفلسطينية منكوبة، بدعوى ضد شارون أمام محاكم بلجيكا، وذلك بموجب قانون صدر في بلجيكا في عام ١٩٩٣ يجيز ملاحقة المسؤولين أيا تكن هويتهم على جرائم ارتكبوها في حق الإنسانية ولو خارج بلجيكا. وقد قبلت النيابة العامة في بلجيكا النظر في هذه الدعوى.

ويأتي ذلك في الوقت الذي تحابي فيه الدولة العظمى، الولايات المتحدة الأميركية، العدو الإسرائيلي ويلتقي رئيسها الجزار شارون مرتين، وقد بدا من خلال المواقف الصادرة اثر الاجتماعين أن الإدارة الأميركية تمالي إسرائيل في عدوانها على لبنان وفلسطين، وهي في أحسن الاحتمالات تساوي بين المعتدي والمعتدى عليه، بين القاتل والضحية، وبين الغاصب والمنكوب، وذلك أحيانا بتحميل السلطة الفلسطينية أكثر مما تطيق خصوصا إذ تطالبها بالإجهاد على أبطال الانتفاضة في محاولة لتفجير فتنة داخلية بين الفلسطينيين، وأحيانا أخرى تدعو الأطراف جميعا الى التهدئة وضبط النفس من دون أي اعتبار لحقوق الشعب الفلسطيني وهي من أبسط حقوق الإنسان في وطنه.

والمعروف أن الرئيس الأميركي استمع إلى شارون مرتين ولم يقبل الاستماع إلى رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات مرة واحدة. ومن غير الاستماع إلى الجهتين، كيف يمكن أن يكون

الموقف الأميركي حياديا أو متجردا أو موضوعيا أو عادلا، والعرب لا ينشدون من الإدارة الأميركية

سوى أن تكون في التعاطي مع الصراع العربي الإسرائيلي حيادية ومتجردة وموضوعية وعادلة.

كان العرب يراهنون على الإدارة الأميركية الجديدة لإنصافهم، ولكن للأسف الشديد سرعان ما سقط هذا الرهان أو كاد.

لم يجد العرب بابا للإنصاف من الدولة العظمى، فإذا بمحام لبناني شجاع يسعى إلى طلب الإنصاف من دولة صغيرة هي بلجيكا. فإذا استطاع المحامي الدكتور شبلي الملاط انتزاع حكم بإدانة شارون، ولو من محاكم دولة أوروبية صغيرة، فإن ذلك سيكون بمثابة الإدانة لكل الدعم الذي تلقاه الدولة العنصرية، إسرائيل، من الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية، وستفوض صورة الشرعية التي اكتسبها الجزار الصهيوني من خلال فوزه الساحق على خصمه في الانتخابات النيابية الإسرائيلية، لا بل أن ذلك سيكون بمثابة الإدانة الصريحة لواقع الشرعية في إسرائيل لا بل بمثابة الطعن في صدقية هذه الشرعية.

إن خطورة المعاني التي تنطوي عليها إدانة شارون ولو في محاكم دولة أوروبية صغيرة، استنفرت الاهتمام الإسرائيلي البالغ. وقد جاء في الأنباء: إن الصحيفة الإسرائيلية ידיعوت أחרونات ذكرت في عددها الصادر صباح الأحد في ٢٤/٦/٢٠٠١، إن المراجع السياسية والقضائية في إسرائيل ترصد بقلق شديد تطورات الموقف على صعيد القضية المرفوعة في بلجيكا<>. ولا شك أن أصدقاء إسرائيل يخشون أن يكون مصير شارون دوليا كمصير ميلوسيفيتش، الجزار الصربي الذي سلمته بلاده منذ أيام إلى المحكمة الدولية.

إن العمل الذي يقوم به المحامي اللبناني الدكتور شبلي الملاط هو عمل مقاوم بامتياز على الصعيدين الوطني والقومي. فبورك به وبأمثاله.